مجلة بحوث
كلية الآداب

البحث (٣)

أساليب الدعوة العقلية فى إطار النفى

"دراسة تأصيلية"

إعداد

أ.د / أحمد إسماعيل أبو شنب

رئيس قسم الدعوة والثقافة الإسلامية

بكلية الدراسات العليا - جامعة الأزهر الشريف

السنة ٢٨ العدد (١١١) اكتوبر ٢٠١٧م

http : // Art.menofia . edu. eg *** E- mail: rifa2012@ Gmail.com

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أساليب الدعوة العقلية في إطار النفي

"دراسة تأصيلية"

أ . د / أحمد إسماعيل أبو شنب
رئيس قسم الدعوة والثقافة الإسلامية
بكلية الدراسات العليا جامعة الأزهر

المقدمة

الحمد لله وكفى ، وصلاةً وسلاماً على عباده الذين اصطفى

ثم أما بعد؛

فكما أن أساليب الدعوة إلى الله تعالى قد اشتملت على صور متعددة ومتنوعة في إطار الإثبات ، اشتملت كذلك على صور متعددة ومتنوعة في إطار النفي ، وتضمنت هذه الأساليب مضامين تتفاعل حول محور نفي الرؤى والتصورات والقناعات والمعتقدات ومنظومات القيم الفاسدة في الدعوات والحركات والثقافات المغايرة للإسلام، أو تلك التي تنزع في الوسط الإسلامي منازع الغلو والشطط متأثرة بآراء منحرفة أو فلسفات عقلية مجردة أو ممزوجة بقضايا دينية .

وتأتي أهمية معرفة هذه الأساليب الدعوية من حيث إنها توفر بدائل متعددة ومتنوعة في التفنيد والنقض ، ودحض الحجج الواهية ، والمزاعم المطلة ، ومن حيث إنها قد وردت في القرآن الكريم والسنة الشريفة بهذا التنوع والتعدد ، وفي معرفتها وتطبيقها إثراء لملكات النقد لدى الداعي ، وإزكاء قيم النفي في الممارسات الدعوية بما ينفي عن قضايا الدعوة الغلو والشطط ، فضلا عن أنها أساليب تسترعي اهتمام المدعو ، وتخاطب فيه طاقاته الإدراكية وأنها مؤثرة في مداركه وقناعاته .

ومن هذه الأساليب ما يلي :

١- **المطلب الأول** : النفي والنهي .
٢- **المطلب الثاني** : النقض والإبرام .
٣- **المطلب الثالث** : بيان فساد العلل والنزوعات المنحرفة .
٤- **المطلب الرابع** : الحصر والقصر .

وسنوضح هذا بمشيئة الله تعالى فيما يلي:

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المطلب الأول

أسلوبا النفي والنهي

تمهيد:

من البداهة أن للنفي والنهي دلالات قطعية على بطلان وقبح ما يُنفي وما يُنهي عن فعله ، فالواقع في إطارها مرفوض عقلاً مسلم به شرعاً ، لاسيما إذا ورد في القرآن الكريم والسنة الشريفة ، ولا يجادل في دلالاتها إلا شاك أو مرتاب ، أو زاعم أو واهم أو ظان ، ودلالاتهما على البطلان والقدح والذم لا تحتاج إلى دليل ، واستخدامات اللغة ومساقات النصوص المصدرية – القرآن الكريم والسنة الشريفة – والعرف والمألوف والواقع كل ذلك يؤكد هذا ، فلا يُنفي إلا باطل ولا يُنهى عن شيء إلا ما كان مذموماً أو قبيحاً ، والنهي والنفي يتضمنان دلالة الالتزام بعدم اعتقاد صحة ما نُفي وفعل ما نهي عنه .

وهذا الأسلوب الدعوي يمثل إزاحة قوية ، وتجريدا فاعلاً لكل صور الباطل واللامعقول واللامشروع المتداخلة بقوة في نزوعات الاعتقاد الفاسد والتشريع الضال والقيم المنحرفة عن القضية الدعوية .. إنه يمثل إبراز الحقيقة المطلقة ، والصواب البين الكائن في قضايا الدعوة ، وينفي عنها فاسد الرأي ، هابط القيمة ، ضحل التصور ، على المنطق ، مرذول المقصد ... ليستقر في العقول السليمة قبحه أو بطلانه أو حرمته أو ضلاله أو إفكه أو أوزاره أو بهتانه أو افتراؤه .

ولهذا الأسلوب الدعوي – النفي والنهي – أثر بالغ في نفس المدعو وفي عقله، فهو يخاطب العقل بصورة مباشرة للإقلاع عما وقع في دائرة النفي والنهي ، ويخالج خواطر النفس فيحملها على الاستجابة ، ويدفعها إلى الالتزام والاستقامة . وصورته المعنوية « ليس بصحيح ما تفعل » أو « لا تفعل هذا لأنه مذموم ومحرم » .

وهو إثبات بنفي النقيض .. إثبات المعتقد الصحيح بنفي المعتقد الباطل ، وإثبات مشروعية الفعل بالنهي عن فعل نقيضه .. فإذا ما قلت لفلان « لا تكذب » فهو نهي عن الكذب ببيان قبح الصفة ، وإثبات للصدق بمنطق مفهوم المخالفة ، وكذا لوقلت « لا إله إلا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾[1].

فجملة « لا إله إلا الله » نافية ما سوى الله تعالى من آلهة مزعومة ، وبمنطوق الجملة ومفهومها لا يعبد في الكون إلا الله تعالى ، وإن وردت بدلالة الحصر فهو نفي مستفاد ، ولهذا وقع قوي في النفس وأثر كبير في يقينيات العقل .. والنفي والنهي كلاهما في حالة التلبس بفعل أو اعتقاد يراد بيان فساده وقبح فعله ، وهو يمثل محاولة لإخراج المدعو من دوائر فساد الاعتقاد وانحراف القيم والنزوعات إلى دائرة أخرى هي عند الله مشروعة مقبولة أرجى[2] لرضوانه تعالى ورحمته .

وفيما يلي نسوق أدلة كل منهما من القرآن الكريم والسنة الشريفة على سبيل البيان لا الحصر .

أولاً : أسلوب النفي والنهي في القرآن الكريم :

الجهة الأولى : النفي في القرآن الكريم ودلالاته :

ورد أسلوب النفي في القرآن الكريم على صور معنوية وقياسية شتى، وأساليب متنوعة ، طبقاً لتنوع أدواته ، من حيث الماضي والاستقبال، ونفي الذوات ونفي الصفات ، والأحوال والنزوعات ، ونفي الإمكان أي الاستحالة ، ونفي الفعل مع الإمكان أي مع القدرة عليه (فمن أقسام الخبر النفي : بل هو شطر الكلام كله ، والفرق بينه وبين الجحد ، أن الثاني إن كان صادقاً سمي كلامه نفياً ، ولا يسمى جحداً، وإن كان كاذباً سمي جحداً ونفياً أيضاً ، فكل جحد نفي ، وليس كل نفي جحداً.

مثال : النفي : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ ﴾[3].

ومثال الجحد : نفي فرعون وقومه آيات موسى ، قال تعالى:﴿ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾[4].

---

(1) سورة الأحزاب : ٤٠ .
(2) أفعل التفضيل ليس على بابه ، وإنما يقصد به شيوع الحكم .
(3) الأحزاب : ٤٠ .
(4) النمل : ١٣ ، ١٤ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وأدوات النفي: لا ، ولات ، وليس ، وما ، وإن ، ولم ، ولما (...) وأصل أدوات النفي لا، وما، لأن النفي إما في الماضي وإما في المستقبل ، والاستقبال أكثر من الماضي أبدا ، ولا أخف من « ما »، فوضعوا الأخف للأكثر .

ثم إن النفي في الماضي إما أن يكون نفيا واحداً أو مستمراً ، أو نفيا فيه أحكام متعددة . وكذلك النفي في الاستقبال ، فصار النفي على أربعة أقسام ، واختاروا له أربع كلمات : ما ،ولم ، ولن، ولا ، وأما إن ، ولمّا فليسا بأصلين فـ « ما » و « لا » في الماضي والمستقبل متقابلان ، و« لم » كأنه مأخوذ من « لا » و« ما »لأن لم نفي للاستقبال لفظاً والمضي معنا ، فأخذ اللام من « لا » التي هي لنفي المستقبل والميم من « ما » التي هي لنفي الماضي ، وجمع بينهما إشارة إلى أن في « لم » إشارة إلى المستقبل والماضي ،وقدم اللام على الميم إشارة إلى أن « لا » هي أصل النفي ، ولهذا ينفي بها في أثناء الكلام ،فيقال : لم يفعل زيد ولا عمرو ، وأما « لمّا » فتركيب بعد تركيب ، كأنه قال : « لم » و« ما » لتوكيد معنى النفي في الماضي، وتفيد الاستقبال أيضاً ، ولهذا تفيد « لما » الاستمرار)[٥].

هذا تقعيد لأدوات النفي وأساليبه . أما الأمثلة على النفي بصورة عامة فسأسوقها مما أورده الإمام السيوطي من تنبيهات على قواعد النفي لضبط استخدامات الدعاة لهذه الأساليب والأدوات وفهم الدقيق لموارد النفي ومساقاته في القرآن الكريم . ومن هذه التنبيهات ما يلي :

(الأول : زعم بعضهم أن شرط صحة النفي عن الشيء صحة اتصاف المنفي عنه بذلك الشيء ، وهو مردود بقول الله تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾[٦]وقوله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾[٧]وقوله تعالى : ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾[٨]ونظائره، والصواب أن انتفاء الشيء عن الشيء قد يكون لكونه لا يمكن منه عقلاً ، وقد يكون لا يقع منه مع إمكانه

الثاني: نفي الذات الموصوفة ، قد يكون نفياً للصفة دون الذات ، وقد يكون نفياً

(٥) الإتقان في علوم القرآن للإمام السيوطي جـ ٣ ص ٢٢٩ ، ٢٣٠ . مرجع سابق . بتصرف يسير .
(٦) الأنعام : ١٣٢ .
(٧) مريم : ٦٤ .
(٨) البقرة : ٢٥٥ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لذات أيضاً من الأول :﴿ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ ﴾(٩) أي هم جسد يأكلونه ، ومن الثاني ﴿ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا ﴾(١٠) أي لا سؤال لهم أصلاً ، فلا يحصل منهم إلحاف ، وقوله تعالى : ﴿ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾(١١) أي لا شفيع لهم أصلا وقوله تعالى : ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴾(١٢) ، أي لا شافعين لهم فتنفعهم شفاعتهم ، بدليل ﴿ فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ ﴾(١٣) ، وسمي هذا النوع عند أهل البديع (علم البديع) نفي الشيء بإيجابه (...) أي أن يكون الكلام ظاهرة إيجاب الشيء ، وباطنه نفيه ، بأن ينفي ما هو سببه كوصفه ، وهو المنفي في الباطن (...) أو أن يُنفي الشيء مقيداً ، والمرد نفيه مطلقاً مبالغة في النفي وتأكيد له ، ومنه قوله تعالى:﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ ﴾(١٤). فإن الإله مع الله تعالى لا يكون إلا عن غير برهان – زعما وافتراء – وقوله تعالى : ﴿ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾(١٥) فالمراد أن قتلهم لا يكون إلا بغير حق ، وقوله تعالى :﴿ رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾(١٦) فالمراد أنها لا عمد لها أصلاً .

الثالث: قد ينفي الشيء رأسا لعدم كمال وصفه ، أو انتفاء ثمرته كقوله في صفة أهل النار :﴿ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴾(١٧) ، فنفى عنه الموت ، لأنه ليس بموت صريح ، ونفى عنه الحياة ، لأنها ليست بحياة طيبة ولا نافعة (...) .

الرابع : قالوا : المجاز يصح نفيه بخلاف الحقيقة ، وأشكل على ذلك﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ ﴾(١٨)، فإن المنفي فيه هو الحقيقة، وأجيب بأن المراد بالرمي هنا المترتب عليه ، وهو وصوله إلى الكفار ، فالوارد عليه النفي هنا مجاز لا

---

(٩) الأنبياء : ٨ .
(١٠) البقرة : ٢٧٣ .
(١١) غافر : ١٨ .
(١٢) المدثر : ٤٨ .
(١٣) الشعراء : ١٠٠ .
(١٤) المؤمنون : ١١٧
(١٥) آل عمران : ٢١ .
(١٦) الرعد : ٢
(١٧) الأعلى : ١٣ .
(١٨) الأنفال : ١٧ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

حقيقة ، والتقدير ، وما رميت خلقاإذا رميت كسبا ، أو ما رميت انتهاء إذا رميت ابتداء

الخامس : نفي الاستطاعة ، قد يراد به نفي القدرة والإمكان ، وقد يراد به نفي الامتناع ، وقد يراد به الوقوع في مشقة وكلفة .

فنفي القدرة والإمكان مثاله :﴿ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً ﴾(١٩)، ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا﴾ (٢٠)، ﴿ فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾(٢١).

ونفي الامتناع ، مثاله :﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ ﴾(٢٢)على القراءتين، أي هل يفعل ، او هل تجيبنا إلى أن تسأل ، فقد علموا أنه تعالى قادر على الإنزال ، وأن عيسى قادر على السؤال .

أما نفي المشقة والكلفة فمثاله قول الله تعالى حكاية عن الخضر : ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾(٢٣) »(٢٤).

وهكذا تعددت أساليب النفي ومساقاته في آي الذكر الحكيم فشملت نفي الحال والصفات والفعال والنزوع مما يكون من حال المكذبين والمعاندين والمعارضين والضالين والحائرين والمكذبين من صنوف المدعوين .

الجهة الثانية : النهي في القرآن الكريم ودلالاته .

وكما أوضحنا في توطئة أسلوب النهي والنفي ، فإن النهي (طلب الكف عن فعل ، وصيغة « لا تفعل »، وهي حقيقة في التحريم ، وترد مجازاً لِمعان :

- منها الكراهة : نحو﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ﴾(٢٥).

---

(١٩) يس : ٥٠ .
(٢٠) المائدة : ١١٢
(٢١) الكهف : ٩٧
(٢٢) المائدة : ١١٢ على أن القراءة الثانية بالتاء (هل تستطيع)
(٢٣) سورة الكهف : ٦٧ .
(٢٤) الإتقان في علوم القرآن للإمام السيوطي جـ ٣ ص ٢٣١ ، ٢٣٢ ، مرجع سابق ، وراجع : البلاغة العربية : أسسها وعلومها وفنونها للميداني جـ ١ ص ٢٠٧ – ٢١١ مرجع سابق .
(٢٥) الإسراء :: ٣٧ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- ومنها الدعاء : نحو﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا ﴾(٢٦).
- ومنها الإرشاد : نحو﴿ لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾(٢٧).
- ومنها التسوية : نحو﴿ أَوْ لَا تَصْبِرُوا ﴾ من قوله تعالى :﴿ فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا ﴾(٢٨).
- ومنها الاحتقاروالتقليل نحو :﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ . ﴾(٢٩).
- ومنها بيان العاقبة : نحو﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ ﴾(٣٠) أي عاقبة الجهاد ، لا الموت .
- ومنها اليأس : نحو﴿ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾(٣١).
- ومنها الإهانة : نحو : ﴿ قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾(٣٢)(٣٣)

وفقه الداعي إلي الله تعالى لهذا المعنى يمثل تنويعاً في خطابه الدعوي وفقها لمساقات النصوص القرآنية ودربة على استخدام صور كل من النفي والنهي وأساليبها لما لها من تأثير كبير في عقل المدعو ووجدانه، ولما فيها من طاقة معنوية مؤثرة وأخاذة تدفع إلى الاستجابة لنداء الحق وترك قيم الباطل ، وهما محورا الممارسات الدعوية « ليس بصحيح ما تفعل » و« لا تفعل كذا » وهذا أسلوب يصحح للمدعو على دروب الهدي واليقين ممارساته وأفعاله ونزوعاته وأحواله وصفاته ، مركزاً على صلاح المآل والمصير ، والحياة والآخرة ، وعاجل الإنسان وآجله ، أنه يمثل نفياً لكل صور الباطل ونهيا عن كل انحراف في النزوع والقصد وتشريعاً وأخلاقاً .

---

(٢٦) آل عمران : ٨ .
(٢٧) المائدة : ١٠١ .
(٢٨) الطور : ١٦ .
(٢٩) طه : ١٣١ .
(٣٠) آل عمران : ١٦٩ .
(٣١) التوبة : ٦٦ .
(٣٢) المؤمنون : ١٠٨ .
(٣٣) الإتقان في علوم القرآن للإمام السيوطي جـ ٣ ص ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، مرجع سابق .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثانياً : أسلوب النفي والنهي في السنة الشريفة :

لا مرية أن ما قيل في معنى النفي والنهي وأساليبها وطرق إجرائهما ومقاصدهما في القرآن الكريم ينطبق على دلالة كل منهما في السنة الشريفة ، وسنقتصر هنا فقط على ذكر الأمثلة بعون الله تعالى :

الجهة الأولى : أسلوب النفي في السنة الشريفة ودلالاته :

١- ما روي بسنده عن أبي ذر عن النبي ﷺ قال : « ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم قال : فقرأها رسول الله ﷺ ثلاث مرات، قال أبو زر : خابوا وخسروا ، من هم يا رسول الله ؟ قال : المسبل ، والمنان ، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب »(٣٤).

٢- « عن أبي هريرة ﷺ وهذا حديث أبي بكر قال : قال رسول الله ﷺ : ثلاث لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم : رجل على فضل ماء بالفلاة يمنعه من ابن السبيل ، ورجل بايع رجلاً بسلعة بعد العصر فحلف له بالله لأخذها بكذا وكذا فصدَّقه وهو على غير ذلك ، ورجل بايع إماما لا يبايعه إلا لدنيا، فإن أعطاه منها وفي، وإن لم يعطه منها لم يف »(٣٥).

٣- ما روي عنه ﷺ: « ثلاثة لا يكلمهم الله تعالى ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم ، شيخ زان ، وملك كذاب ، وعائل مستكبر »(٣٦).

وقد استخدم النبي ﷺ أسلوب النفي في هذه الروايات ، وقد جاء النفي منه ﷺ مكررا في كل رواية من هذه الروايات بهدف بيان قبح الفعل وتغليظ العقوبة مبالغة في النفي لبيان خطر تلك النزوعات على الفرد والمجتمع وعلى قيم الأخلاق النبيلة السامية، وقيم السلوك الراشد .. إنه نزوع إلى الخيلاء الصارف عن استذكار فضل الله تعالى على فاعله والتكبر في كون يخضع لله تعالى رب العالمين ، وهو نزع فاسد إلى الفعل يحوله من نعمة إلى

(٣٤) صحيح مسلم : كتاب الإيمان ، باب بيان غلظ تحريم إسبال الإزار جـ ١ ص ١٠٢.

(٣٥) متفق عليه واللفظ للبخاري بسنده عن أبي هريرة ﷺ : كتاب المساقاة، باب إثم من منع ابن السبيل من الماء جـ ٣ ص ١١. ، وصحيح مسلم : كتاب الإيمان ، باب غلظ تحريم إسبال الإزارجـ ١ ص ١٠٣ ، واللفظ لمسلم .

(٣٦) صحيح مسلم : كتاب الإيمان ، باب غلظ تحريم إسبال الإزار جـ ١ ص ١٠٢ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

نقمة.. إنه المن الذي يبدي فاعله وكأنه صاحب النعمة المتفضل على الناس متناسبا أن الله تعالى هو الذي من عليه وأنعم .. أن المن لا يكون إلا من الله تعالى لأنه صاحب الإنعام ، وفاعل المن من الناس كأنه ينزع إلى مشاركة الله تعالى أو منازعته تعالى في صفاته .. وذلك النزوع الفاسد إلى التدليس والخداع والخيانة باسم الله ، أي باليمين الكاذبة واستغلال يقين الناس بالله تعالى وخضوعهم للقسم به ، كما في الرواية الأولى .

وتصور الرواية الثانية صور أخرى من صور هذا النزوع الفاسد إلى الفعل مبينة صور العقوبة المستحقة عليه ومنها هذا النزوع الفاسد في مداهنة الأمة والحكام ونفاقهم وخداعهم في بيعته إياهم .. تلك القائمة على الأنانية والنفعية ومراعاة مصالحة الشخصية مع أن الأصل في البيعة أن تكون خالصة صادقة لله رب العامين ، فقد غفل بنزوعه هذا عن أن المطاع في البيعة في الأصل إنما هو لله تعالى وليس الإمام فحسب .

إنه النزوع الفاسد الذي دفع صاحبه إلى منع فضل ماء أو طعام وما في حكمه مما تتوقف عليه حياة المرء، مما يؤدي إلى الموت عطشاً وجوعاً أو إلى إهلاك النفس، وذلك نزوع لو استشرى يؤدي إلى قطع التراحم بين الناس ، مما يدفع إلى الانتقام ، وقد يدفع إلى قبل مانع الفضل مما بتوقف عليه حياة المحتاج فيكون قد حمله على قتل نفس وإفساد في الأرض ، وفاعل هذا النزوع قد بخل ومنع ما ليس ملكا له في الأصل إنما هو ملك لله تعالى منحه إياه اختبارا له فيما أنعم عليه ، لاسيما أن فضل هذا الماء وما في حكمة لا تتوقف عليه حياة مالكه وحائزه ، لأنه فضل عن حاجته .

أما الرواية الثالثة : فتصور النزوعات الفاسدة إلى الفعل بلا داع أو مبرر ، الأمر الذي اقتضى تغليظ العقوبة عليه ، فذاك « الشيخ » الهرم الطاعن في السن النزّاع إلى الزنا ، وهو منقطع الشهوة أو ضعيفها ، يقع في دائرة تغليظ العقاب مع أن الشاب قوي الشهوة إن توفرت له في نفسه مبررات النزوع الفاسدة إلى الزنا ، فإنه يعاقب به ، لكن ليس على سبيل ما ورد في الحديث الشريف من تغليظ العقوبة في حق الشيخ الكبير الطاعن في السنن ، لانتفاء الدوافع عنده إلى الزنا وتوفرها عند ذلك الشاب، وليس هذا تسويغا لوقوع الزنا منه ، وإنما بيان لأن العقوبة تغلظ على فاعل دون فاعل عندما تنتفي الدوافع إلى الفعل لديه دون الآخر ويصر على معصية الله تعالى .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إنه النزوع الفاسد الذي دفع الملك إلى الكذب ، وهو غير متصور صدوره عنه، لأن الكاذب يخاف ممن هو أعلى منه مكانة أو أشد منه قوة، خوفاً من بطش أو إيذاء، وليس فوق الملك إلا الله تعالى ، فلِمَ يكذب؟! دوافع الكذب عن الملك منفية فمن يخاف ؟ أيخاف غير الله تعالى؟! من ثم استحق تعليظ العقوبة ، ولأن الملك إن بذا أمام الناس كاذباً وهو قدوة وإمام فإن ضرره عندئذ أكبر من نفعه ، لأنه سيؤدي إلى ذيوع فساد الأخلاق والقيم والذوق . وذاك النزوع الفاسد إلى الاستكبار من الفقير منتفية عنه الدوافع إليه ، لأن الاستكبار – وإن كان مذموماً – فهو متوقع من الغنى الذي يملك المال ولا يتوقع من الفقير الذي لا يملك الناس، وهذا النزوع من هذا الفقير يؤدي إلى انصراف الناس عن الإحسان إليه والإنفاق عليه ومآزرته وقت الشدائد .

لهذا كله غُلظت العقوبة على هؤلاء دون غيرهم وإن كانوا – أي غيرهم – يستحقون العقوبة على ذلك من الله تعالى ، لأنه معصية له سبحانه .. انظر إلى أساليب النفي المركبة أو المتكررة .. ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾في يوم يكون الإنسان فيه أمس الحاجة إلى عفو الله تعالى ومغفرته ورضوانه .

الجهة الثانية : أسلوب النهي في السنة الشريفة ودلالاته :

مثلما جاءت التوجيهات النبوية للمدعو في نفي ذميم الفعال وسيء الأخلاق ، ومرذول السلوك ، مما يخالف قضايا الدعوة الإسلامية العقدية والتشريعية والأخلاقية جاءت توجيهاته الشريفة أيضاً في إطار النهي كأسلوب فعال ومؤثر في نفس المدعو يمس واقعه ونزوعاته العملية ومتفاعل مع وجداناته ، ومنسجم مع قيم العقل الكلية وطبيعته الإدراكية ، ومن صور هذا الأسلوب ما يلي :

١- روي عن أبي هريرة ﷺ أن رجلا قال للنبي ﷺ أوصني ، قال : « لا تغضب »[٣٧]، قال ابن التين : « جمع النبي ﷺ في قوله « لا تغضب» خير الدنيا والآخرة ، لأن الغضب يؤول إلى التقاطع ومنع الرفق ، وربما آل أن يؤذي المغضوب عليه ، فينتقص ذلك من الدين »[٣٨]، كما « يؤدي إلى البغضة التي قلنا إنها الحالقة ، والغضب أيضا

(٣٧) صحيح البخاري رقم الحديث ٦١١٦ : كتاب الأدب ، باب الحذر من الغضب جـ ٨ ص ٢٨ .
(٣٨) فتح الباري رقم الحديث ٦٥١٩ جـ ١٠ ص ٥٢٠ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بمنعه كثيرا من منافع دنياه ، ومعنى الوصية : لا تمض ما يبعثك عليه غضبك ، وامتنع منه ، وكف عنه »[٣٩]، « وهذا يدل على أن الغضب جماع الشر وأن التحرز منه جماع الخير »[٤٠] .

٢- روي عن بريدة عن أبيه : « أن النبي ﷺ نهى أن يقعد بين الظل والشمس »[٤١].

٣- روي عن أبي هريرة ﷺ قال النبي ﷺ : « إذا كان أحدكم في الفيء ، فقلص عنه، فليقم ، فإنه مجلس الشيطان »[٤٢]، والفيء : الشمس ، وقلص عنه : زال بعضه عنه .

٤- روي عن النبي ﷺ أنه قال : « أربع إذا كن فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا : حفظ أمانة ، وحسن خليقة ، وصدق حديث ، وعفة طعمة»[٤٣].

وفيه نهي عن الندم على ما فات من دنيا طالماً توفرت في المسلم تلك الصفات، فهي جامعة لكل خير ، غالقة لكل شر داعية إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وداعية إلى المسابقة إلى الخيرات ناهية عن فعل المنكرات .

٥- عن جابر الأنصاري ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ: « لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم ، ولا تدعوا على خدمكم ،ولا تدعوا على أموالكم ، لا توافقوا من الله تعالى ساعة نيل فيها عطاء فيستجيب لكم »[٤٤].

هذه الروايات الشريفة بعض من كثير في سنة الحبيب المصطفىﷺ سقتها للبيان ، والإيضاح ، لا على سبيل الحصر .. وهي تدلل على قيمة أسلوب النهي في الإصلاح الدعوى في النهوض بالأمة من كبوتها ، وانفعالاتها اللامسئولة التي لا تنزع إلا إلى شر ، ولا تدع أو تركن إلى خير . كما بينه أسلوب النهي في دلالاته ومضامينه في الرواية الأولى.

إنه أسلوب ينهى به النبي ﷺ وينأى بأمته عن الجلوس في مجلس الشيطان وإن ورد في الرواية الثالثة في صورة حسية خاصة بالنهي عن الجلوس في الشمس والظل في آن

---

(٣٩) المنتقى شرح الموطأ للإمام مالك جـ ٧ ص ٢١٤ .
(٤٠) جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي جـ ١ ص ٣٦٢ .
(٤١) رواه ابن ماجة في سننه جـ ٤ ص ٦٦٨ .
(٤٢) سنن أبي داود ، باب في الجلوس بين الظل والشمس جـ ٤ ص ٢٥٧ .
(٤٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده عن عمرو بن العاص ﷺجـ٦ ص ٢١١،٢١٠ .
(٤٤) أخرجه مسلم في صحيحه ، باب حديث جابر الويل (٢٣٠٤/٤) ، ح (٣٠٠٩) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

واحد بحيث يكون بعض المرء في الشمس ، وبعضه المرء في الظل ، وهذا النهي وإن كان له دلالته في الصحة الجسدية وتأثير ذلك الجلوس على المزاج والطبيعة التكوينية للإنسان ، فإنه عام الدلالة في النهي عن الجلوس في مجالس الشيطان واقتفاء أثره ، واتباع خطواته ، لما له من تأثير كبير على شخصية الأمة ومقوماتها ، وفيه من الدلالات التربوية التي تتمثل في ضرورة الفصل بين المتناقضات، ووضوح موقف الإنسان وخلوص نزوعه ، وقوة عزيمته ، والابتعاد عما يطلق عليه

« المنطقة الرمادية » كناية عن عدم الوضوح وذوبان الشخصية ، وتداخل الرؤى والتصورات والسلوكيات والنزوعات على نحو من التناقض والتضارب والتضاد.

وهذه دلالات تربوية في أسلوب النهي لها قيمها العظيمة في صياغة الأمة ، وبناء أفرادها . إنه أسلوب يستخرج من النفس مخبوء الصدور وسيء الخواطر ، إنه يعمل على تنقية باطن المدعو ، كما يعمل على تنقية ظاهره ، حتى لا يكون هناك انقصام بين القيم والسلوك ، وبين المقصد من الفعل والنزوع إليه ، والعقل يتفاعل وينسجم ويتدبر ، ويتأمل دلالات النهي فيعلم خطورة المنهي عنه على الاعتقاد والتخلق والسلوك .

وفي الأسلوب دربة للداعي إلى الله تعالى فيما تصلح به النفس البشرية من أساليب تتفاعل مع العقل وتنسجم مع الواجدان .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المطلب الثاني

أسلوب النقض والإبرام

يعتبر أسلوب « النقض والإبرام » أحد أهم أساليب النفي العقلية في ممارسات الدعوة إلى الله تعالى ، فالنقض يمثل هدم « البنى التكوينية » للمعتقدات والأفكار الخاطئة والمنحرفة والفلسفات الهابطة ، التي تضرب بجذورها في جدليات متصاعدة ، وماديات جوفاء .

ويعرف بأنه : « دعوى السائل بطلان دليل المعلل » [٤٥] أي بطلان دليل المثبت .

أنواع النقض :

يتنوع النقض إلى ثلاثة أنواع حسب الإضافة هي :

١- نقض التعريف : إذا ما أضيفت إلى التعريف .

٢- نقض الدليل : إذا ما أضيفت إلى الدليل .

٣- النقد التفصيلي ، ويسمى منعا أو ممانعة أو مناقضة ، وهو أن يطلب النافي من المثبت دليلا آخر على رأيه أو زعمه باعتباره غير واف أو منقوص أو غير معتبر [٤٦].

أما الإبرام فيعنى به إحكام هذا النقض بصورة لا يقبل معها استثناءات أو جدليات أو مواربات أو مداهنات ، أو احتمالات أو شكوك أو ارتياب ، لماُ تتضمنه من دلالات قوية ، وحجج قاهرة تمتلك ناصية البيان، وتمتع العقل والوجدان ، ليهتدي بها كل ضال وحيران . إنه الحسم لقضايا النزاع بصور لا يقبل معها العودة إلى دائرة الاحتجاج مرة أخرى ، فلقد أحكمت الأدلة قولتها ، والبراهين نتيجتها ، وقطعت الحجج قول كل خصيم، وأبرم القضاء كلمته ، وأنفذ الدليل غايته ، والاحتجاج حجته ، فلا نقض بعد ذلك ولا استشكال [٤٧] إلا ممن كان كارها للحق بعد ما تبين ، أو شاكاً مجادلاً فيما ترسخ ، قال تعالى : ﴿ لَقَدْ جِئْنَاكُم

---

[٤٥] منهج الجدل والمناظرة في تقرير مسائل الاعتقاد . د / عثمان علي حسن جـ ٢ ص ٧٩٣ مرجع سابق ، وراجع : كليات أبي البقاء الحسيني الكفوي ص ٦٢١ ، ٦٢٢ المطبعة العامرية ١٢٧٨ هـ بدون رقم طبعة ، آداب البحث والمناظرة للشنقيطي – القسم الثاني ص ٦٥ ، ٦٦ مكتبة ابن تيمية – بدون تاريخ .

[٤٦] راجع منهج الجدل والمناظرة في تقرير مسائل الاعتقاد ص ٧٩٣ بتصرف شديد جدا .

[٤٧] راجع : لسان العرب لابن منظور ، مادة « برم » جـ ١٢ ص ٤٣ – ٤٥ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾ أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴾(٤٨)، أي مقدرون قضاءا محكما لا رجعة فيه ، ولا انفكاك فيه، ولا يورب فيه باب لاستعتاب (٤٩) ، ﴿ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾(٥٠)، ويعتمد هذا الأسلوب على أمور منها ما يلي:

١- نقض البنى التكوينية للأدلة .

٢- نقض البنى التكوينية للقضايا من حيث الرؤى والتصورات .

٣- إحكام الرد على نحو من القوة ، وبدافع من الحكمة ، خالياً من الثغرات والمآخذ والمغالطات ، لا يقبل النقض .

٤- قواطع الأدلة النقلية والعقلية ، من القرآن الكريم والسنة الشريفة، ودلالات العقل الظاهرة القاطعة .

ويفتقر هذا الأسلوب إلى ما يلي :

١- الإعداد العلمي للداعي إلى الله تعالى .

٢- الدربة والمران على ممارسة النقض والإبرام .

٣- عمق نظرة الداعي إلى الله تعالى ، ودقة درايته ، وقوة ملكاته وقدراته على استنباط قواطع الدلالات التي تحسم الخلاف ، وتقطع الشك والريب بصورة مبرمة تحكم الردود وتبرم الحجج والرأي .

ومن لم تتوافر فيه تلك الشروط الضابطة ، والقيود الحاكمة للنقض والإبرام لا يجوز له الإقدام على النقاش والجدل ، لأنه إقدام من لا علم له، ورأي من لا فقه له ، وحجة مفلس لم تتوفر له بينات الحكمة ، ولم ينهل من روافد الهدى ما يعينه على خوض غمار هذا الجدل وذاك النزاع ، ولا يعدو رأيه أن يكون نزق نازق ، وسفه سفيه، وهذا يضر ولا ينفع ، لأنه يرسخ القضايا الخلافية ولا ينقضها ، ويجعل الردود هشة ، تتمتع بشكلية الإجراء دون

(٤٨) الزخرف : ٧٨ ، ٧٩ .

(٤٩) راجع : روح المعاني للإمام الألوسي جـ ١٣ ص ١٠٣ مرجع سابق – دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ .

(٥٠) يونس : ٣٢ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

جواهر الأدلة والحجج ، مما يشعر الخصم بالفلج بالفوز ، وتقرير شبهته ، وهي عيية المنطق متهالكة البنيان ، متداعية الدلالة .

٤- الخلفية الفكرية والثقافية والجدلية التي تجعل الداعي إلى الله تعالى قادراً على طرح الفروض والاحتمالات ، وتوليد الحجج من كلام الخصم في أخذ ورد ، وتفكيك وهدم ، وتفنيد ونقض .

دلالات أسلوب النقض والإبرام في القرآن الكريم :

عندما نتأمل آي الذكر الحكيم نجد أنها تناولت عقائد الكافرين والوثنين والمشركين والدهريين الطبيعيين والملاحدة ، وعقائد أهل الكتاب من اليهود والنصارى ، وأقوام الأنبياء السابقين .. تناولت آي الذكر الحكيم كل هذه المعتقدات وغيرها من الشرائع الباطلة والنظم الاجتماعية والفكرية الفاسدة بالنقض ، هدما وتفنيدا ، وإبطالا وتقبيحا ، بطرائق وصور تعتمد على النقض المبرم ، والتفنيد البصير ، مثيرة في نفوس هؤلاء المدعويين آيات الحكمة ، وفي عقولهم حقيقة المنطق ، ومنطق الحقيقة ، وصدق الحجج والبراهين . ومن أمثلة ذلك ما يلي :

أولاً : قول الله تعالى : ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾ أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴾[٥١] .

« لما ذكر اللات والعزى ومناة ولم يذكر شيئا آخر قال: إن هذه الأشياء التي

---

[٥١] النجم : ١٩ ـ ٣٠ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

رأيتموها وعرفتموها تجعلونها شركاء لله ، وقد سمعتم جلال الله وعظمته ، وإن الملائكة مع رفعتهم وعلوهم ينتهون إلى السدرة ، ويقفون هناك ، لا يبقى شك في كونهم بعيدين عن طريقة المعقول أكثر مما بعدوا عن طريقة المنقول، فكأنهم قالوا: نحن لا نشك أن شيئا منها ليس مثلا لله تعالى ولا قريبا من أن يماثله ، وإنما صورنا هذه الأشياء على صور الملائكة المعظمين الذين اعترف بهم الأنبياء، وقالوا إنهم يرتقون ويقفون عند سدرة المنتهى، ويرد عليهم الأمر والنهي، وينهون إلى الله ما يصدر من عباده في أرضه وهم بنات الله ، فاتخذنا صورا على صور الإناث وسميناها أسماء الإناث (...) فقال لهم: كيف جعلتم لله بنات وقد اعترفتم في أنفسكم أن البنات ناقصات والبنين كاملون ، والله كامل العظمة، فالمنسوب إليه كيف جعلتموه ناقصا وأنتم في غاية الحقارة والذلة ، حيث جعلتم أنفسكم أذل من خمار وعبد، ثم صخرة وشجرة، ثم نسبتم إلى أنفسكم الكامل ، فهذه القسمة جائرة على طريقكم ، حيث أذللتم أنفسكم ونسبتم إليها الأعظم من الثقلين وأبغضتم البنات ، ونسبتموهن إلى الأعظم، وهو الله تعالى، وكان على عادتكم أن تجعلوا الأعظم للعظيم ، والأنقص للحقير، فإذن أنتم خالفتم الفكر والعقل والعادة التي لكم» [٥٢] .

وتتلخص عناصر النقض في هذه الآيات ومساقاتها فيما يلي :

١- مخالفة المنطق والبديهة في اعتقادهم عظمة الخالق .

٢- نقضهم مبدأ تعظيم الإله .

٣- تجرؤهم على الله تعالى وعبثهم بالاعتقاد .

٤- عدم صدقهم ، وثبوت كذبهم وافترائهم .

٥- زعمهم لله تعالى ما ليس له حيث القسمة الضيزى .

٦- لو كانوا صادقين في تعظيمهم الملائكة لعظموا من خلقهم .

٧- أن الملائكة التي تزعمون تعظيمهم لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً ، ولا يشفعون لأحد انحرافه في التعبد والاعتقاد ، وشفاعتهم للصالحين موقوفة على إذن الله تعالى.

٨- الأسماء التي سميتم بها آلهتكم زعم زعمتموه أنتم وآباؤكم ولا دليل على صحته . وإلا

[٥٢] مفاتيح الغيب للإمام الرازي جـ ٢٨ ص ٢٤٨ دار إحياء التراث – بيروت – الطبعة الثالثة ١٤٢٠ هـ ، وراجع : تفسير البحر المحيط جـ ١٠ ص ١٥ دار الفكر – بيروت ١٤٢٠ هـ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فأتوا ببرهان يثبت ما تزعمون ، وهو تعجيز لهم عن إقامة الدليل على زعمهم .

٩- أن ما تعتقدونه محض زعم وظن وهوى ، لا يرقى إلى ثبوت كونه علما أو حقا أو صدقا .

١٠- لا يغني الظن – في منطق الحقيقة والإثبات –من العلم شيئا .

١١- في كل رد من الردود إبرام ، إذ لم يستطيعوا معارضته ولا نقضه ولا سبيل لهم إلى القدح في صحته .. تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

١٢- الإبرام العام الذي ينتظم كل هذه الدلالات يتمثل في قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ ، وقوله تعالى : ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾.

ثانياً : قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾﴾[٥٣].

ومما جاء في تفسير الآية الأولى من هذه الآيات : « اعلم أنه تعالى شرع في هذا الموضع في حكاية شبهات منكري نبوة محمدﷺ. وفيه مسائل:

المسألة الأولى : قال ابن عباس- رضي الله عنهما - : كان إذا نزلت آية فيها شدة ، ثم نزلت آية ألين منها، تقول كفار قريش : والله ما محمد إلا يسخر بأصحابه ، اليوم يأمر بأمر وغدا ينهى عنه ، وإنه لا يقول هذه الأشياء إلا من عند نفسه ، فأنزل الله تعالى قوله : ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ﴾، ومعنى التبديل: رفع الشيء مع وضع غيرهم كانه . وتبديلا لآية رفعها بآية أخرى غيرها ، وهو نسخها بآية سواها.

(٥٣) النحل : ١٠١ – ١٠٥ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقوله تعالى :﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ﴾ اعتراض دخل في الكلام ، والمعنى : والله أعلم بما ينزل من الناسخ والمنسوخ ، والتغليظ والتخفيف، أي هو أعلم بجميع ذلك في مصالح العباد ، وهذا توبيخ للكفار على قولهم: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُفۡتَرِۭ﴾ أي: إذا كان الله تعالى أعلم بما ينزل، فما بالهم ينسبون محمدﷺ إلى الافتراء لأجل التبديل والنسخ ، وقوله : ﴿بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ أي: لا يعلمون حقيقة القرآن، وفائدة النسخ والتبديل، وأن ذلك لمصالح العباد، كما أن الطبيب يأمر المريض بشربة ، ثم بعد مدة ينهاه عنها، ويأمره بضد تلك الشربة »(٥٤).

وفي تفسير قول الله تعالى : ﴿وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّهُمۡ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٞ﴾ يقول الطبري : « يقول تعالى ذكره : ولقد نعلم أن هؤلاء المشركين يقولون جهلا منهم: إن ما يعلم محمدا هذا الذي يتلوه بشر من بني آدم ، وما هو من عند الله ، يقول الله تعالى مكذبهم في قيلهم ذلك: ألا تعلمون كذب ما تقولون؟ إن لسان الذي تلحدون إليه، يقول: تميلون إليه بأنه يعلم محمدا هذا القرآن عبد رومي ، فلذلك قال تعالى: ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيّٞ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٞ﴾ ، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل على اختلاف منهم في اسم الذي كان المشركون يزعمون أنه يعلم محمداﷺهذا القرآن من البشر» (٥٥) .

دلالات النقض والإبرام في الآيات الكريمة :

يمكننا الاستفادة من أقوال المفسرين السابقة في تفسير هذه الآيات الكريمة ، ومن مساقات الآيات وأنساقها الدلالية والإيضاحية ما يلي :

١- بيان زعم منكري النبوة في حق النبي ﷺ من أنه ﷺ يسخر بأصحابه وأنه لا يقول هذه الأشياء إلا من نفسه .

٢- إلحاق زعمهم بأن النبي ﷺ يعلمه بشر بدلالة نسيج السياق .

(٥٤) مفاتيح الغيب للإمام للرازي جـ ٢٠ ص ٢٧٠ مرجع سابق ، وراجع تفسير الكشاف للزمخشري جـ ٢ ص ٦٣٤ مرجع سابق – دار الكتاب العربي – بيروت – الطبعة الثالثة ١٤٠٧ هـ، والبحر المحيط في التفسير لأبي حيان الأندلسي جـ ٦ ص ٥٩٥ .

(٥٥) تفسير الإمام الطبري جـ ١٧ ص ٢٩٨ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٣- نقض زعمهم [illegible] يتلوه من قرآن كريم .

٤- الجملة الاعتراضية « والله أعلم بما ينزل » وردت لتأكيد علم الله تعالى بما ينزل وإثبات إلهية قرآنه الكريم ، وبيان جهالة منكري نبوة الرسول ﷺ ، ونفي العلم عنهم فيما يزعمون .

٥- نفي صلة القرآن الكريم بالأرض ، وبمخلوق الكون ، ونفي أن يكون مبلغ هذا القرآن بشر أو جن ، وإثبات كون القرآن الكريم من عند الله تعالى نزل به جبريل عليه السلام « روح القدس » .

٦- أن في القرآن الكريم الهداية والبشرى للمسلمين ، وتعريض بأولئك المنكرين أنهم في قولهم ليس بمهتدين ولا مسلمين .

٧- إحالة القرآن الكريم هؤلاء المنكرين المكذبين إلى الواقع اللغوي والدلالي والصوتي للقرآن الكريم ، إحالة المتيقن من كمال ما أنزل ، وتمام ما دلت عليه دلالته من عربية اللفظ وليس أعجميته ، كما زعم الزاعمون ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيّٞ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٞ﴾، وإذا كان المفسرون يفسرون « يلحدون » بالميل ، فلعدول القرآن الكريم عن التعبير بـ « الميل » إلى « الإلحاد » في قوله تعالى : ﴿يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ﴾ دلالة على أن هذا الميل عن الحقيقة القرآنية – الثابت كونها من عند الله – إلحاد ، وهذا اللفظ القرآني الكريم له دلالته النفسية القوية المخالجة لُخواطر الملحدين بالنبوة المنكرين لها المستخرجة مخبوء صدورهم والمبينة سوء طويتهم وفساد اعتقادهم ، وهي إحالة أخرى وعود بالمنكرين بالنبوة إلى أعماق الذات ، حيث يثبت لهم أنهم في واقع أمرهم لا يوقنون بما قالوه في حق رسول الله محمد ﷺ ، بل إنه ليس إلا محض افتراء فـ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيّٞ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٞ﴾، وصاحب اللسان ذو قدرة على بيان فروق لغته نطقا وصوتا وكتابة.فليقارنوا عربية القرآن الكريم بأعجمية من يزعمون أنه يُعلَّم رسول الله ﷺ القرآن الكريم ، بل إن وصفه بـ « مبين » سخرية منهم واستهزاءا بهم ، فكيف مع وضوح دلالته اللسانية البينة تزعمون أعجميته ؟! .

٨- ثم تبين الآيات الكريمة وعيد الله تعالى لهؤلاء الذين لا يؤمنون بآياته بالعذاب الأليم .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٩- إن الافتراء الحقيقي هو زعمكم أنتم ذلك ، وعدم إيمانكم بآيات الله تعالى . ليس هذا فحسب ، وإنما هم يلمسون في نفوس ذواتهم كذب ما قالوا ، ويعلمون لحودهم إلى الكذب ، وجحودهم بآيات الله .

١٠- ولم يرد أن أولئك المنكرين مانعوا أو عارضوا أو جادلوا في رد القرآن الكريم إفكهم وزعمهم وكذبهم ، ولو كان وقع لذكره القرآن الكريم وفنده في مساقات الآيات الكريمة .

وهكذا نقض القرآن الكريم مزاعمهم منطوقا ومفهوما .. لفظا ومعنى ، صورة ودلالة ، ومزاعم ودعاوى ، مركزا على فساد اعتقادهم ، وسوء طويتهم ، وخبث مكرهم، ومحض افتراءهم وكذبهم ، نقضا أوصد الباب أمام ردودهم ، وقطع عليهم السبيل لمواصلة افترائهم ، وصادر كل دعاويهم وأباطيلهم وحججهم الداحضة .

﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾(٥٦) .. آية كريمة تخترق العمق النفسي وتكشف نزوعات الاعتقاد الفاسد ، وتبين قبح الإدراك .. آية تصدقهم بواقع لا يمكن إنكاره .. إنها وضعتهم أمام نفوسهم، ومخالجات خواطرهم وما يستكنونه من مشاعر تجاه هذا الدين الحنيف ، ما يسترونه في صدورهم ، وينزع إليه فكرهم ، فكيف يجيبون ، وقد بين الله تعالى إحاطته بهم ، وعلمه بسرهم ، وهيمنته على مداركهم ، إنها ورد ناقضة مبرقة لكل رد ، ملزمة حجتها ، كاشفة دلالتها ، وصفة حال هؤلاء المدعوين .

والقرآن الكريم مترع بالشواهد الكريمة الثرية بقيم النقض والإبرام، لا يسع المقام لذكرها ، وكلها تؤصل لهذا الأسلوب الدعوي كأحد أساليب الدعوة إلى الله تعالى . وعلى الدعاة الاستفادة بهذه الاستدلالات القرآنية الكريمة ، وبذل الجهد في تدبرها وفقهها ، لإثراء قيم هذا الأسلوب في الدعوة إلى الله تعالى لما له من أثر قوي واضح وبيِّن في نفي كل صور الباطل ، وقضايا الفكر المنحرف .

(٥٦) الأنعام : ٣٣ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المطلب الثالث

أسلوب الحصر والقصر

سبق أن بينا في محور أساليب الدعوة العقلية في إطار الإثبات أن « الحصر والقصر » أحد أهم الأساليب الدعوية في إثبات القضايا الدعوية في معرض الخصومة العقدية والجدلية الحادة بين أصحاب الحق وأصحاب الباطل ، وقد سقنا الأمثلة على ذلك .

بيد أننا نقرر هنا أن أسلوب « الحصر والقصر » يستخدم – أيضاً – في إطار النفي ودحض حجج خصوم الدعوة إلى الله تعالى كأحد أهم أساليب الدعوة العقلية على محور النفي .

والعلاقة بين الأسلوبين قوية وواضحة ، إذ أن كلا منهما يعتمد نفي النقيض بمفهوم المخالفة ، فإثبات الداعي قضية بعينها يتضمن بمفهوم المخالفة نفي ما سوى المثبت وبيان خطئه أو زيفه وافترائه ، ونفي الداعي قضية بعينها إنما يعني إثبات عكسها بمفهوم المخالفة ، كمن يدعو إلى التوحيد فهو ينهى عن الشرك ، ومن ينهى عن الشرك فهو يدعو إلى التوحيد ..

وتمثل علاقة هذا الأسلوب بذاك أن الإزاحات الفكرية التي تتم في عملية الإثبات هي بعينها قضايا النفي ، وإن اختلفت صورة الأسلوبين فمن حيث التغاير الدلالي لا من حيث الإجراءات القياسية لأن الصورة القياسية واحدة لكن طريق الدلالة مختلف .

من ثم فلن أسوق هنا أدلة على أسلوب « الحصر والقصر »في إطار النفي ، وأحيل القارئ إلى ما ذكرته من أدلة هنالك عن هذا الأسلوب في أساليب الدعوة العقلية في إطار « الإثبات » .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المطلب الرابع

بيان فساد العلل والنزوعات المنحرفة

يعتبر أسلوب « بيان فساد العلل والنزوعات المنحرفة » أحد أهم أساليب الدعوة إلى الله تعالى العقلية في إطار « النفي » ، ولما كانت الأحكام عند الأصوليين تدور مع العلة وجوداً وعدماً (٥٧) من حيث أن العلة تمثل مبررا شرعيا وعقليا للفعل أو النزوع إليه ، إذ لا يعقل حكم بلا علة ، وفعل بلا نزوع ، أي : هم إلى الفعل بصورة عملية تطبيقية ، لما يضمره في نفسه من قناعات أو معتقدات ، ليشمل الفكر والمعتقد والقيم والسلوك . ولما كان في المنطق الأصولي ، وما استقر في العقل من قضايا كلية ، من حيث إن العلة الصحيحة تؤدي إلى حكم صحيح ، وأنها تبرر النزوعات المشروعة إلى الفعل ، وأن العلة الفاسدة لا يمكن أن تكون مبررا شرعيا أو عقليا للفعل منطوقا لا مفهوما مما يرسخ في النفس قبح الفعل ، وفي العقل صورته الباطلة ، وهذا يوجب ترك الفعل ، مع اعتبار أن الترك والفعل في قضايا الاعتقاد والتشريع والقيم والسلوك لا يستقل بها العقل دون الشرع ، فالقضية شرعية نصية في المقام الأول عقلية في التدبر والفقه واستيعاب دلالة النص في المقام الثاني ، ما لم يقم دليل نصي شرعي يبيح الفعل أو يحرمه .. أو يوجب الفعل أو الترك ، عندئذ يمارس العقل دوره في إطار القواعد الكلية والمقاصد العقدية والتشريعية والقيمية في الاجتهاد ، فيما استجد من أمور ، وما استشكل من العلل والنزوعات .

ويبقى فساد العلل وانحراف النزوع قوي الدلالة على أن كلا منهما أدخل في إطار « النفي » مما يدل على مشروعيتها ، وفساد تصورهما ، والآثار المترتبة عليهما، والقدح في عقيدة فاعلهما على المستوى الفردي ، فضلا عن القدح في قيم المجتمع ونزوعاته على المستوى الاجتماعي . أما على المستوى النفسي فإن كلا منهما ذو دلالة قوية على اضطراب وتذبذب وقلق وحيرة ، وتردد وشك وتيه ، وفقدان توازن يصيب الفرد والمجتمع على السواء دلالات فساد العلل والنزوع في القرآن الكريم على النفي .

ثمة آيات كثيرة في القرآن تناولت عقائد المعاندين والمكذبين والضالين ، والدهريين

(٥٧) راجع : الموافقات للإمام الشاطبي جـ ٢ ص ٢٣٩ دار ابن عفان – الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م ، والإحكام في أصول الأحكام لابن حزم جـ ٨ ص ٩٧ دار الآفاق الجديدة – بيروت .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والملاحدة مبينة فساد عللهم وانحراف نزوعاتهم في الاعتقاد والتشريع ، ومنها ما يلي :

أولاً : دلالات فساد النزوع والعلل في الاعتقاد الفاسد على النفي :

١- قول الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِالرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾[٥٨] .

وعندما نتدبر هذه الآيات نجدها تتضمن ما يلي :

أ- بيان فساد النزوع في قوله تعالى : ﴿ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ﴾ .

ب- بيان فساد الفعل « استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون » .

ج- بيان فساد العلة وتضمنها قول الله تعالى :﴿ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ﴾ ، أي خلقت على حالة لا يمكن معها وصول الحق إلى قلوبهم [٥٩] ، وهنا تعليل تكذيبهم الأنبياء وقتلهم وإيصاء القلوب دون الاستجابة للحق الذي جاءهم به من عند الله تعالى ، وهو تعليل ظاهر الفساد بين الانحراف واضح القبح ، وجاء النسق القرآني بأسلوب الإضراب والمعارضة لبيان قبح تبريرهم شنيع ما فعلوا ﴿ بَل لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ أي ليست هذه علة موضوعية حقيقية دالة على غلف الطبع « القلب»، فلم يخلقهم الله تعالى على هذا وإلا فسد معنى التكليف بطاعة الأنبياء ، وإنما العلة الحقيقية لسوء انحرافهم هي استكبارهم وتكذيبهم الأنبياء وكفرهم بآيات الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ﴾ ، وكان من الأولى أن يتبعوا ما عرفوا من قبل أنه يهديهم إلى الله تعالى ، وتلك قضية بالغة المعقولية وهي « اتباع ما يهدى » لكن نزوعهم إلى نقيضها بالغ الإغراب بيَّن الفساد، وهو تكذيبهم ما عرفوا أنه هاد لهم إلى الحق وإلى صراط مستقيم .

٢- وإذا كان هناك طبع كما يقولون فليس من باب طبع الطبيعة الخلقية على هذه الحال

---

[٥٨] البقرة : ٨٧ ـ ٨٩ .

[٥٩] راجع تفسير الإمام ابن كثير جـ ١ ص ٣٢٤ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

من عدم الانفتاح على الحق وقبوله والإذعان له ، وإنما راجع إلى سبب يقرونه في ذواتهم وهو فساد عللهم ، وانحراف منازعهم يدل على هذا قول الله تعالى : ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾﴾(٦٠).

وقد بينت الآيتان الكريمتان فساد النزوعات السبع (٦١) التي دفعتهم إلى التعليل الفاسد لتبرير سوء اعتقادهم .

٣- قول الله تعالى : ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾(٦٢).

وبتدبر الآية الكريمة نجد أنها ركزت على ما يلي :

أ- فساد النزوع الذي هو ضد فطرة التدين الحق .

- أثر هذا النزوع الإشراك بالله تعالى ، باتخاذهم أولياء يعبدونهم من دون الله تعالى .

- فساد العلة ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ وهي علة فاسدة ، لأنه لا يتقرب إلى الله تعالى بعبادة غيره . فإنه شرك أو كفر بوحدانية الله تعالى .

- قول الله تعالى : ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا ۖ وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ

---

(٦٠) النساء : ١٥٥ – ١٥٧ .
(٦١) وهي : ١- نقض الميثاق . ٢ – الكفر بآيات الله . ٣ - قتل الأنبياء.
٤ – النزوع إلى التعليل الفاسد. ٥ – إطلاق الكفر .
٦ – البهتان العظيم في حق مريم . ٧ - زعمهم قتل المسيح عليه السلام
(٦٢) الزمر : ٣ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا۟ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾[٦٣]

ومن الدلالات التي تتضمنها هذه الآيات الكريمة ما يلي :

أ- إن فساد النزوع يقسي القلب ويعمي عن الحق ويصم ﴿ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ فقد دفعهم فساد نزوعهم إلى تحريف كلام الله بعدما فقهوه وعلموه وأيقنوا انه كلام الله تعالى ، وكان مقتضى الحكمة أن يصونونه ويحفظونه ويعلمونه قومهم ، لكن لما غابت عنهم مدارك الحكمة حرفوه وغيروه وبدلوه !!

ب- دفعهم إلى فساد النزوع سوء طويتهم ، وفساد سريرتهم ، وتجاهلهم علم الله تعالى بحالهم وهيمنته عليهم ، فضلوا الحكمة وأساءوا مع الله تعالى الأدب ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ .

وهذا إخبار عن اطلاع الله تعالى على حالهم وإحاطته بخفاياهم ، حيث ورد في تفسير الآية ، وهو ما استصوبه الطبري « إن الأميين الذين وَصفهم الله تعالى أنهم لا يفقهون من الكتاب الذي أنزل على موسى عليه السلام شيئا ولكنهم يتخرصون الكذب ، ويتخرصون الأباطيل كذبا وزورا ، والتمني في هذا الموضع هو تخلق الكذب وتخرصه، ومنه الخبر المروي عن عثمان بن عفان رضي الله عنه « ما تغنيت ولا تمنيت » يعني ما تخرصت الباطل ولا اختلقت الكذب » [٦٤] .

وهذا بيان صور انحرافهم في التعامل مع كتاب الله تعالى الذي أنزل على نبيهم موسى عليه السلام ، وهو « التوراة » ، إذ يعتمدون في فهمه الظن والخرص والكذب وينسبونه إلى الله تعالى كذبا وزورا .

---

[٦٣] البقرة : ٧٥ ـ ٧٩ .

[٦٤] تفسير الطبري جـ ٢ ص ٢٦٢ مرجع سابق . وهو قول مجاهد .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ج – وظاهر دلالة الآية الكريمة ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ ...﴾ إنهم كانوا يحرفون الآيات التي تتعلق بالمعاملات من حيث التحريم ويخدعون الناس كذبا بما يفيد التلبيس عليهم بالحل . وذلك بهدف تحقيق منافع دنيوية عاجلة فانية وتفويت ما هو أبقى وأنفع منها للناس في آخرتهم ودنياهم . والله تعالى أعلم .

د– وفيها إيضاح للعل الفاسدة التي أدت بهم إلى فساد نزوعاتهم .

ثانياً : دلالات فساد العلل والنزوع في التشريع الإسلامي القائم على النفي:

١– قول الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا ۗ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ۚ فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾[٦٥] .

من خلال تدبر هاتين الآيتين الكريمتين نجد أنهما ركزتا على ما يلي:

أ– الانحراف التشريعي في المسالك والتصرفات المالية بالتربح الفاسد القائم على استغلال حاجة الفقراء والمعوزين من خلال التعامل بالربا .

ب– قوة الاستهلاك في الآية الكريمة ببيان صورة العذاب الذي يلحق بأمثال هؤلاء المنحرفين المستغلين ، وبيان فساد منزعهم بأسلوب تصويري بديع لقضية غيبية هي ما يلحقهم في الآخرة، يتمثل في تقريب الغيب إلى الحس من رؤية آثار مس الشيطان للإنسان كي يكون أشد حملا لهؤلاء على ترك هذا المنزع القبيح المحرم شرعاً .

ج– بيان فساد علة النزوع إل الفعل في تبرير فاسد ﴿إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾ .. إنه تبرير لمثلية الربا والبيع في الحل ، مع أن المثلية بينهما منتفية شرعا .. ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ فالقضية الشرعية معكوسة ، والعلة مزعومة متوهمة مظنونة ، وذلك كله لا يغني من الحق شيئا . إنه فساد لشرع الله الحنيف وإخلال بأصل من أصول النظام المالي

(٦٥) البقرة : ٢٧٥ ، ٢٧٦ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والاجتماعي في شرائع الأنبياء – عليهم السلام – . بالتعليل الفاسد الذي أدى إلى ظلم الفقراء والإجحاف بحقوقهم وزيادة هوة الطبقية في المجتمع ، وما يلحق الطبقة الفقيرة من إضرار وإيلام نفسي يتمثل في مزلة الدين والانكسار النفسي أمام ضروريات الحياة .. مما يؤدي إلى النقمة على المجتمع والانتقام منه ، وهذا ناشئ عن عدم التراحم والتعاون بين الناس على البر والتقوى .

د- إسقاط العقوبة عما مضى من التعامل بالربا قبل بيان حرمته والتوعد الشديد على العودة إلى التعامل به بعد هذا البيان .

هـ- إن انحراف النزوعات في الكسب القائم على فساد العلل يؤدي إلى محق البركة من المال ، وإن النماء الحقيقي والبركة من الله تكون في استقامة المنزع واتباع العلل الشرعية للأحكام ، وفقه حكمة التشريع قدر الطاقة .

و- ثم إن الآية الأخيرة تبين أن نعم الله على العبد تستوجب الشكر، وإن إفساد التصرف فيه هو في الحقيقة إنكار للنعمة وكفر بالمنعم ، وهذا التصرف الفاسد أثيم صاحبه ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾.

٢ – قول الله تعالى : ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾[٦٦] .

وتتضمن هذه الآيات الكريمة من الدلالات ما يلي :

أ- فساد النزوع في تصريف شهوة الفرج أدى إلى إفساد الفطرة ، والذوق الاجتماعي العام ، وذلك بإتيان الرجال دون النساء !!.

ب- فساد العلل أدى إلى فساد السلوك والإخلال بضوابط التعامل الإنساني ، بل وتغيير موازين الحكم على الآخرين ﴿أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ ، وهذا

---

[٦٦] الأعراف : ٨٠ – ٨٤ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إفساد للمعتقد والسلوك وتدنيس للفطرة ، وإفساد للذوق العام . علة هذا العجب العاجب ، أبلغ إغرابا وأشد نكارة ، إن فساد التعليل أدى إلى جعل التطهير والنقاء والاستقامة في عرف هؤلاء جريمة أخلاقية سلوكية تستحق العقوبة الجماعية من المجتمع بالنفي من الأرض !! وجعل شرع الله تعالى في نفوس هؤلاء الفاسدين فيما فاسده يجب الثورة الاجتماعية عليها !! .

ولا غرو ، فقد فسد الذوق ، وتبدلت موازين الحق بموازين الهوى، وشرع الله تعالى المستقيم بنوازع السوء ومنازع الانحراف ، إنها انتكاسة أخلاقية لا توجد بين ذكور النوع الواحد من الحيوانات .. انحراف تأباه الفطرة الحيوانية ، وتمرد على سنن الله تعالى الكونية والتشريعية والإنسانية ، ما سبقهم إليها أحد من العالمين

والعجيب أنه قد أعيد إنتاج هذا السلوك الفاسد في العصر الحديث واشتد نفيره في هذه الآونة تحت مبادئ اجتماعية فاسدة وفلسفات هابطة ، وحقوق إنسانية مزعومة مضللة ، باسم « المثلية تارة » و« الجندر » تارة أخرى إشارة إلى الجنس المطلق غير المقيد بالذكورة ولا بالأنوثة ، وتمعن بعض الدول الغربية في فساد نظمها الاجتماعية إذ تقرر حق هؤلاء الملوثين المنحرفين الساقطين في الزواج الرسمي .

وفي العالم العربي نادى أمثال هؤلاء بضرورة رعاية حقوقهم في ممارسة السلوكيات الجنسية المنحرفة والضالة بين الذكور ، وفي الوسط النسائي ينتشر هذا المسلك الفاسد فيما يعرف بالسحاق ، حتى إنك ترى على شبكات التوصل الاجتماعي، والانترنت مواقع إباحية تعرض ما يندى له الجبين ، وما هو وصمة عار في جبين حضارة إنسانية مزعومة ، وإن ارتقت إلى ما لم ترق إليه حضارة سابقة .. فزواج بين ذكرين وآخرين أنثيين تقرره بعض الدول الغربية الراعية للحضارة ما هو الأخزي ،وعار ستحتفظ به ذاكرة التاريخ لأجيال قادمة ، شاهدة على مدى انحراف المسالك والنزوعات اللا أخلاقية وما ذلك إلا بفساد النزوع وفساد العلل ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

وهذه الدلالات غيض من فيض مما تضمنته آيات كثيرة في القرآن الكريم ، وإنما

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

اقتصرنا في سوق هذه الآيات الكريمة للبيان والإيضاح وليس الحصر .

لكن الأبرار من الدلالات القرآنية الحكيمة في كل مما سبق من آيات كريمة أن بيان القرآن الكريم للعل الفاسدة المفضية إلى فساد النزوع في قضايا الاعتقاد والتعبد لدى بعض الأقوام والأمم والأفراد والجماعات تنحصر في دائرة « النفي » أي : نفي صحة ما ترتب على هذا النوع الفاسد إلى الفعل والتبرير الفاسد القبيح لهذه النزوعات من مزاعم عقدية واهية وتشريعية فاسدة أملاها على هؤلاء خرصهم وظنهم وكذبهم وبهتانهم على الله تعالى ، وسوء طويتهم ، وخبث نواياهم ، وفساد ذوقهم ، وقسوة قلوبهم عنادا واستكبارا ومكر السيئ .. ﴿ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ﴾ قال تعالى : ﴿ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾[٦٧] .

وهذه الآية إخبار عن قريش والعرب قبل مجيء الرسول [٦٨] ﷺ لكن من لم يؤمن منهم كان بسبب فساد نزوعهم وتعليلهم الفاسد: ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾[٦٩] .

لعله اتضح من خلال عرض أساليب الدعوة العقلية في إطار «النفي» قيم هذه الأساليب في نقض الاعتقادات الخاطئة والقيم الأخلاقية الفاسدة ، والنظم الاجتماعية المنحرفة والنزوعات الضالة للأمم والأفراد والجماعات ، كما أن قيمها في تصحيح مسارات الأخلاق والسلوك والممارسات الدينية والدنيوية ، ولها قيمها الفكرية في إطار إعداد الدعاة إلى الله تعالى إعدادا علميا يوسع مداركهم ويثري قيم النقد لديهم، ويضيف إليهم خبرة كبيرة وفقها دقيقا لأساليب القرآن الكريم الدعوية ، وكذا أساليب السنة الشريفة .

---

[٦٧] فاطر : ٤٢ ، ٤٣ .
[٦٨] راجع : تفسير القرآن العظيم لابن كثير جـ ٦ ص ٥٥٩ مرجع سابق .
[٦٩] الزخرف : ٣١ ، والمراد بالقريتين : مكة والطائف . وبالرجلين : الوليد بن المغيرة من مكة ، وحبيب بن عمرو الثقفي من الطائف . تفسير الطبري جـ ٢١ ص مرجع سابق .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فهـــرس المصـــــادر

أولاً : القرآن الكريم .
ثانيا المراجع العامة .

١. تثقيف الجنس البشري ج . أي . ليسنغ نشر عام ١٧٨٠م .
٢. الإتقان في علوم القرآن . للإمام السيوطي ، تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم - مكتبة دار التراث - بدون تاريخ .
٣. الإحكام في أصول الأحكام . لابن حزم - دار الآفاق الجديدة – بيروت .
٤. آداب البحث والمناظرة للشنقيطي – مكتبة ابن تيمية – بدون تاريخ .
٥. بحث أ . د / يحيى هاشم فرغل، بجريدة الشعب يوم ٢٩ / ٤ / ٢٠٠٨ م ..، .
٦. البحر المحيط في التفسير . لأبي حيان الأندلسي ،دار الفكر – بيروت ١٤٢٠ هـ .
٧. البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها . د / عبد الرحمن حسن حنبكه الميداني ، دار القلم - دمشق ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م .
٨. تفسير ابن كثير . ط : دار الكتب العلمية ١٤١٩ هـ .
٩. تفسير الطبري ، تحقيق /أحمد شاكر ،ط : مؤسسة الرسالة ١٤٢٠ هـ .
١٠. تفسير الكشاف للزمخشري – دار الكتاب العربي – بيروت – الطبعة الثالثة ١٤٠٧ هـ .
١١. جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد الدمشقي ،تحقيق عيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة بيروت،ط/تاسعة ، ١٤٢٢ه ٢٠٠١م.
١٢. روح المعاني للإمام الآلوسي – دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ .
١٣. روح المعاني للإمام الآلوسي– دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولى ١٤١٥.
١٤. سنن ابن ماجة ،تحقيق شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد - محمَّد كامل قره بللي - عَبد اللّطيف حرز الله،لناشر: دار الرسالة العالمية،لطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.
١٥. سنن أبي داود . المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية - صيدا - بيروت.
١٦. سنن الترمذي . الإمام الترمذي ،الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الحلبي – مصر ،الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.
١٧. صحيح البخاري . طبعة دار طوق النجاة ، ط /أولي ،١٤٢٢هـ .
١٨. صحيح مسلم ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
١٩. فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ابن حجر ،دار المعرفة بيروت ،١٣٧٩هـ.
٢٠. لسان العرب لابن منظور . طبعة دار الحديث – القاهرة ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.
٢١. مسند الإمام أحمد بن حنبل ، ط : دار الحديث – القاهرة .
٢٢. مسند الإمام أحمد،تحقيق: أحمد محمد شاكر،الناشر: دار الحديث القاهرة، ط ١ ، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م.
٢٣. مفاتيح الغيب للإمام الرازي - دار إحياء التراث – بيروت – ط الثالثة ١٤٢٠ هـ .
٢٤. ملتقي أهل الحديث ، منتدى التخريج ودراسة الأسانيد . للشيخ ناصر النجار الدمياطي .
٢٥. المنتقى شرح الموطأ للإمام مالك ،أبوالوليد سليمان ،الناشر مطبعة السعادة،ط/أولي ،١٣٣٢هـ .
٢٦. منهج الجدل والمناظرة د / عثمان على حسن - دار إشبيليا للنشر والتوزيع ، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م ، والكتاب أطروحة رسالة دكتوراة حصلت على مرتبة الشرف الأولى - جامعة محمد بن سعود الإسلامية .
٢٧. الموافقات . للإمام الشاطبي - دار ابن عفان – الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
٢٨. ميزان الأصول في نتائج العقول (المختصر) للسمرقندي ، تحقيق د / محمد زكي عبد البر ، ط : وزارة الأوقاف القطرية ، ط : ٢ / ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ ، ط : دار الكتب المصرية .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٩٥
المطلب الأول: أسلوبا النفي والنهي	٩٦
أولاً : أسلوب النفي والنهى في القرآن الكريم	٩٧
الجهة الأولى : النفي في القرآن الكريم ودلالاته	٩٧
الجهة الثانية : النهي في القرآن الكريم ودلالاته	١٠٠
ثانياً : أسلوب النفي والنهي في السنة الشريفة	١٠٢
الجهة الأولى : أسلوب النفي في السنة الشريفة ودلالاته	١٠٢
الجهة الثانية : أسلوب النهي في السنة الشريفة ودلالاته	١٠٤
المطلب الثاني: أسلوب النقض والإبرام	١٠٧
أنواع النقض	١٠٧
دلالات أسلوب النقض والإبرام في القرآن الكريم	١٠٩
دلالات النقض والإبرام في الآيات الكريمة	١١٢
المطلب الثالث: أسلوب الحصر والقصر	١١٥
المطلب الرابع : بيان فساد العلل والنزوعات المنحرفة	١١٦
أولاً : دلالات فساد النزوع والعلل في الاعتقاد الفاسد على النفي	١١٧
ثانياً : دلالات فساد العلل والنزوع في التشريع الإسلامي القائم على النفي	١٢٠
فهرس المصادر	١٢٤
فهرس الموضوعات	١٢٦

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner